الاسـم بين الواقع اللغـوي والواقـع العينـي

م.د.ليـث داود سلمـان
جامعة الصرة/كلية الاداب

الملخص

لقد عني الاسم بمجالات رحبة ،وجهات متعددة،وقد كان للواقع اللغوي منها نصيب مميز ،ينبثق من كونه اداة لفظية يتوصل بها الى الفهم ،ويتوسل بها الى التداول من دون ان يرافق هذا الاستعمال معرفة اي شيء عن الحقيقة والذات،لانه مستند الى الجعل والاعتبار .وفي مجال اخر يخرج الاسم من نطاق الاعتبار ، وسنخ المعاني ؛ لينضم إلى دائرة الوجود وامر التكوين شانه شان الموجودات الاخر،فاذا كان لفظ الحجر يشير الى مسماه(جوهر الحجر)،فان الحجر نفسه يصبح اسما ويشير الى مسماه في التكوين .وبهذا النحو من الاستعمال نفهم الكثير من المرويات الدينية التي يظن انها من الاستعمال المجازي للاسم

Abstract

A ' noun' is concerned with wide areas and different aspects of which the linguistic performance assumes special importance since the ' noun' being a verbal tool for apprehension and pragmatic use. Nevertheless, this use, because it is based upon naming things by convention, is not accompanied by knowledge of the 'reality or 'essence' of that 'noun'. In certain contexts, the 'noun' is not merely an element

having a sense but is part of the 'existence', i.e., having a being of some sort. If the word 'stone', for instance, quotes the ' reality; or 'essence' of the stone, the stone (the substance) itself becomes the ' noun' and thus (the substance of stone) quotes its referent in the world of Being. In this sense, we can understand many of the allusions of the religious traditions which are thought of as nouns used figuratively.

مقدمة

ان ما يميز العلوم بعضها من بعض هي موضوعاتها التي يبحث فيها عن جملة من المسائل المشتركة والقضايا المتفقة بنحو من السنخية والانسجام حتى يكون الموضوع مشخصاً بجهات ولحاظات ، فقد يرد للموضوع جملة من العلوم ، لكن الاختلاف في مشخصات الموضوع وزاوية النظر هو المائز بينهما ، فمثلاً جسم الانسان ، من حيث هو جسم قوامه مجموعة من الاعضاء الفسيولوجية ، موضوع علم الاحياء ، ومن حيث ان هذه الاعضاء يعتريها الفساد ، ويلحقها العطب موضوع علم الطب ، ومن حيث ان له حقيقة مجردة موضوع علم النفس الفلسفي ، ومن حيث انه يتحرك بالارادة ، وتتصف افعاله بالقبح والحسن موضوع علم الاخلاق وهلم جرا .

لذا من الواجب على الباحث ان يقف على ميادين العلوم ، ولو اجمالاً ، او ان يقف على موضوعات العلوم المراد معالجة بعض خصائصها ، حتى يتسنى له معرفة التوجهات الفكرية ، والرؤى الايديولوجية ، وزاوية النظر المنبثقة من هذه الايديولوجيات ازاء تحديد المفاهيم ؛ لانها تسهم اسهاماً فاعلاً في سطوع الحقيقة ، وكشف الغاية التي يسعى اليها العلم .

اللغة وموضوعها :

ان الوجود الانساني – في بذرته الاولى كان في اهنأ عيش ، وأقر عين ، في وجود بريء من تعلقات المادة والصورة ، وقد قدر له ان ينزل من مقامه السامي الى مرتبة تعينه الاخيرة ، في نشأة دانية قوامها الفقر والحاجة ، ليبدأ تحركه من جديد ، فأعطي له من القدرات ما يلبي كل احتياجاته ، ومن الوسائل ما ينال كل غاياته ، ووجد نفسه مع افراد نوعه مقترناً بنحو من الاقتران . وان جزءاً كبيراً من غاياته متوقفة على علقته مع غيره ، وليس ثمة سبيل لدوام هذه العلقة واستمرارها سوى ايجاد وسيلة لعقد التفاهم وبقاء التداول ، وقد ظهرت هذه الوسيلة بصور متعددة ، فبدأت بالاشارات والصور والنقوش والاعيان نفسها والاصوات الى ان استقرت بالاصوات المعبرة .

ومن هنا نفهم ان اللغة هي آلة للتواصل والتداول ؛ وكونها آلة يعني ان موضوعها يتفاوت من نشأته البدائية الى مراحل تدرجه التي فوقها ، واذا كان موضوع اللغة تدرج من النقوش والاشارات الى الاصوات المعبرة ، فهل يدل هذا على انها شيء مقدس ؟! .

ان الآلّة والوسيلة لا يمكن ان تكون مقدسة ، ما لم يكن هناك شيء آخر يقترن بها ، او يُضفى عليها ، فيجعلها مقدسة بهذا اللحاظ . وفعلاً ثمة خطب غير مجرى الانسانية ، وفتح مغاليق ظلمتها ، ذلك هو الوحي الالهي الذي البس تلك الالة حلة جديدة ، وخلع عليها ثوب القداسة والمهابة ، فأصبحت محلاً للانظار تقصد من اجل ذلك الحدث – وهذا كائن للغة العربية فحسب دون غيرها ، والا فأن غيرها من اللغات بقيت كما هي – فبدأ الجمع والتأليف ، وشيئاً فشيئاً اخذت اللغة تتسع وتنبسط ، ومسائلها تتشعب وتستقل ، فارزة بذلك – بانتظامها واستقلالها مجموعة من العلوم ، فظهر علم النحو ثم استقل عنه الصرف وظهرت البلاغة وظهر النقد وهلم جرا .

وبعد حين من البحث والنمو والرقي في اللغة ، اصبحت جلية للافهام ، وغير مستورة عن التفكير ، فهي الذخيرة المكتنزة التي يستند اليها في عرض الافكار وطرح المعلومات ، وخصوصاً فيما يتعلق بتحديد الافق المعرفي للتداول عند اصحاب كل فن ، ولا يوجد علم لا يتخذ من اللغة وسيلة في اظهار كنوزه وبسط جواهره ، وهي لذلك تدور مدار الثقافة الانسانية ، وتتحرك مع الفكر جنباً الى جنب ، والسبب في ذلك واضح ، وهو ان ميدانها ، في صورتها الاخيرة ، الكلام او الاصوات المعبرة ، وغايتها تنبثق من كينونة الانسان في ظرف الاجتماع ، وديمومته في وعاء الاعتبار ، ومن دونها لا تكون هناك لغة ، ولا مفسر آلي للفكر ، ولا حركة ناقلة للرؤى والايديولوجيات . فكان التآلف والتخالل في الطبيعة البشرية ذريعة للتواطئ على مجموعة من الدوال التي تتبادر مع الزمن الفسيح الى مدلولات او مسميات عند الاستدعاء في الذهن ؛ كاشفة بذلك العلقة الاعتبارية بين الطرف الاول المشير ، والطرف الثاني المشار اليه .

ولم يغب ذلك عن بال ابن جني حين حدها بالاصوات المعبرة (١) ، وهو بذلك يشير الى الموضوع والغاية ، ومن خلال تحليلنا للموضوع والغاية ، نحصل على الدائرة الكلامية المكونة من مرسل ورسالة ومرسل اليه .

ولكن ، هل يعني هذا ان الاصوات شرط في الرسالة ؟

ولماذا حدها ابن جني بالاصوات ؟

إن اعتبار الانسان هذه الاصوات اداة للتعبير والتواصل والاجتماع دون غيرها من الوسائل التي يمارسها الانسان في بواكير نشأته وحياته البدائية ، هو من اجل السهولة والاختصار ، فهي من جهة ، جزء من طبيعته البشرية ، أي ينتجها جهاز نطقي خاص بخلاف الوسائل الاخر ، ومن جهة اخرى انها اقتصادية ، فلا ضياع في الجهد ، ولا بذل للطاقة ، ولا اهدار للوقت ، واذا ما استعملنا الوسائل التي تقدم ذكرها ، فاننا نجد الشيء الكثير من الصعوبة والعسر والمشقة ، فضلاً عن قدرة

الاستيعاب التي تقدمها . فهل يقدم النقش او الرسم كل ما يخلد في نفس الانسان ؟ وهل يستطيع ان ينقل الكيفيات النفسانية ؟

وهذا هو السر في حدها بالاصوات .

اذاً ، موضوع اللغة هو الذي يديم العلقة الاجتماعية ، ويحفظ للنوع الانسان تناغمه ، لذا نجد ان اصحاب هذا الفن عنوا بكثير من القضايا التي تعد من صلب المادة ، فقعدوا ، وبوبوا ، وفصلوا ، وهم في كل ذلك يشخصون الطرائق المتنوعة في البيان ، ويضعون مجموعة من القوانين التي تتكفل بالمعالجات الآنية ومواكبة العصر .

الاسم في الواقع اللغوي :

لقد عني الاسم – بعدّه مظهراً من مظاهر الاستعمال اللغوي – بمجال ارحب ومساحة اوسع ، فقد سلطت عليه اضواء متعددة ، ونُظر اليه من آفاق متنوعة ، فإمام العربية سيبويه يفتتح كتابه القيم بالحديث عن الكلم واقسامه الثلاثة : الاسم والفعل والحرف [٢] ، محدداً بذلك المنظومة اللغوية للتواصل البشري ، فيذكر الوسائل اللغوية التي بموجبها ينشأ كلام تام مفيد يستقل به السامع بالفهم ، ويحقق تواصله بين ابناء مجتمعه .

وقد اخذت هذه القسمة سلطتها على من جاء بعده من اللغويين كالمبرد [٣] والزجاجي[٤] وابن السراج [٥] وغيرهم [٦] .

وقد نُظر إليه من جهة انه لفظ له حد ، وهنا قد يتفاجأ المتلقي حين يتتبع كلمات سيبويه ، ولم يظفر بحد للاسم ، مع انه افتتح الكتاب بالحديث عن اقسام الكلام ، ووضع حداً او توضيحاً لكل من الفعل والحرف .

اكتفى سيبويه بذكر مصاديق من الاستعمال اللغوي للاسم [٧] مريداً بذلك ترسيخ المجال التداولي في ذهن القراء ، وكأنه يريد القول :

ان الاسم لشدة ظهوره وعلقته بالذهن مع ما أتفق عليه من الاستعمال ، اغنى عن التعريف لعلمه ان التعريف ، لا يراد منه الا التبيين والتوضيح لماهية المفاهيم .

ولا يخفى ما يشير اليه الكلام المتقدم من هيمنة الاسم ومركزيته في التداول والاستعمال ، فهو الاصل المستغني عن التعريف ، وهو الذي يثري الاستعمال بما تعطيه صورته من بعد لفظي له مصاديق متعددة .

وقد حفلت كتب النحو بعد سيبويه بتوضيحات عن الاسم ، تكاد تكون متفقة ، فهو :

((ما كان واقعاً على معنى ؛ نحو رجل ، وفرس ، وزيد ، وعمرو ، وما اشبه ذلك)) [٨] .

و ((كلمة دلت على معنى في نفسها من غير اقتران بزمان)) [٩] .

و ((ما دل على معنى في نفسه دلالة مجردة عن الاقتران)) [١٠] .

و ((لفظ يدل على معنى في نفسه ولا يتعرض ببنيته للزمان ، ولا يدل جزء من اجزائه على جزء من اجزاء معناه)) [١١] .

و ((كلمة دلت على معنى ثابت في نفس تلك الكلمة)) [١٢] .

و ((ما دل على معنى في نفسه ولم يقترن بزمان)) [١٣] .

وقد نجد من يجعل الحد بلحاظ ائتلافه كما فعل الكسائي بقوله : ((الاسم ما وصف)) [١٤] ، والاخفش بقوله : ((اذا وجدت شيئاً يُحسنُ له الفعل والصفة نحو زيد قام وزيد قائم ... فاعلم انه اسم)) [١٥] ، والزجاجي ، الذي يقول : ((فالاسم ما جاز أن يكون فاعلاً أو مفعولاً أو دخل عليه حرف من حروف الجر)) [١٦] .

وابن مالك بقوله : ((فالاسم كلمة يسند ما لمعناها إلى نفسها أو نظيرها)) [١٧] .

وعند المفسرين من ذوي الاتجاه اللغوي هو : ((اللفظ الدال بالوضع على موجود في العيان ، ان كان محسوساً ، وفي الأذهان ان كان معقولاً من غير تعرض ببنيته للزمان ومدلوله هو المسمى)) [١٨] .

و ((ما دل على معنى في نفسه فقط غير متعرض ببنيته لزمان ولا دال جزء من اجزائه على جزء من أجزاء معناه)) [١٩] .

وفي المعجم :

((ما يعرف به ذات الشيء)) [٢٠] .

و ((اللفظ الموضوع على الجوهر او العرض ؛ لتفصل به بعضه من بعض)) [٢١] .

ان الاسم في الحدود المتقدمة لا يخرج عن كونه اداة يتوصل بها الى الفهم ؛ فمن جهة النحويين يبين بحدوده وقيوده المعنى الذي يستقل به عن قسيميه من اجل ان يُحمل عليه جملة من المسائل النحوية التي تتعلق باحكام الاسم ، وهو معنى صناعي فرضته طبيعة الدرس النحوي الرامي الى بيان انظمة الكلام العربي ، والاسس الصحيحة التي تقوم عليه تلك الانظمة من ائتلافات واختيارات لاقسام الكلم العربي ، لذا لا ينتفع به كثيراً في مجال التداول للمعرفة بجميع جوانبها .

وفي التفسير ؛ لان موضوعه كلام الله ، وغايته الكشف عن مراميه ومعانيه ، يحتاج الى معنى زائد على ما تقدم ، فلم يصبح النظر الى المعنى ، وارتباط بنيته بالزمان فقط ، بل يتعدى الحديث الى التداول، أي المشير والمشار اليه ، لان المتلقي في التفسير ينظر الكشف والابانه عن المفاهيم ، فكانت الحاجة الى بيان كاشفية الاسم عن الموجودات مطلقاً ، سواء اكانت خارجية ام ذهنية ، انفع للتواصل واسرع للتفاهم .

وفي المجال المعجمي نجد ، فضلاً عن البناء اللغوي ، حديثاً عن معان ادق من قبيل الابانه عن الجوهر والعرض ، وفيه تفصيل وكاشفية عن كل هويات الوجود .

ومما تقدم يتبين ان مجال هوية الحدود والمعاني المتقدمة تبرز الواقع اللغوي للاسم ، وتقدمه امام القراء بعدّه ركناً اساسياً مشيراً ببنيته الى معنى مستقل خال من أي دلالة زمنية ، ليكون هوية لفظية يتعرف بها على الاشياء ، فيكون حضور الاشياء في التواصل حضوراً ذهنياً كلما استدعي اللفظ ، وهذه خاصية الاستعمال اللغوي

في التداول من دون ان يرافق هذا الاستدعاء أي شيء عن حقيقة المستدعى ؛ لان الاقتران بين اللفظ والمعنى ، لما كان اعتبارياً جعلياً ، كانت كاشفيته ضعيفة ، لا ترقى الى باطن الشيء ، وهذا يحصل لنا عندما نتعامل مع موجودات غير حسية ؛ لان الحسي قد تكون حقيقته او ماهيته جلية لنا بخلاف غير الحسي ، وهنا تقف الاسماء على تخوم المسمى فحسب .

وقد نُظر الى الاسم من جهة انه لفظ له مقومات تميزه من غيره . يقول الفراء : ((الاسم ما احتمل التنوين ، او الاضافة ، او الالف واللام))[٢٢] ، والأسماء عند المبرد تعتبر بواحدة : ((كل ما دخل عليه حرف من حروف الجر فهو اسم ، وان امتنع من ذلك فليس باسم))[٢٣].

وما تتميز به الاسماء قبولها التنوين والخفض وال التعريف وامتناع الجزم [٢٤].

وقيل في اعتباره : يجوز الاسناد اليه ودخول حرف التعريف عليه والجر والتنوين والاضافة [٢٥].

وزاد ابن مالك عود الضمير عليه ، او ابدال اسم صريح منه ، وبالاخبار به مع مباشرة الفعل ، وموافقة ثابت الاسمية في وزن يخص الاسم او في معنى [٢٦].

ولم تغفل المؤسسة اللغوية النظر الى الاسم من جهة مرجعيته الاشتقاقية ، وهنا يجد الباحث ذلك الخلاف المحتدم ، والصراع المديد حول ذلك الاصل عند مجموعة من الاعلام ، ثم نما هذا السجال ، واشتد على يد تلاميذهم ، وقد خرج طرف من هذه الاطراف بنتيجة هي :

ان الاسم بمعنى العلامة ، فعن ابي العباس ثعلب ورد ان الاسم وسم وسمة توضع على الشيء يعرف به [٢٧].

ولم ترض هذه النتيجة الطرف الاخر ؛ لانهم يذهبون الى ان الاصل في الاسم هو السمو ، وهو في اللغة بمعنى العلو ، فالاسم يعلو على المسمى ، ويدل على ما تحته من المعنى [٢٨].

وقد هيمن هذا السجال الفكري طويلاً على عقولهم ، وشغل اذهانهم حتى امتد إلى أصحاب المعجمات[٢٩] ، وثلة من المفسرين[٣٠] ، فأصبحوا مبرزين لتلك الحركة الفكرية الدائرة بين العلماء ، ذاكرين حجة كل طرف .

وليس لهذا التطويل فائدة في المجال التداولي ، وليس له أي قيمة علمية ؛ لان للاسم هوية يتميز بها من غيره من الالفاظ ، ولو سألت احداً : أتريد من الاسم الجذر سمو أم وسم ؟ لقال متعجباً لم ارد هذا ولا ذاك ، بل اردت الاسم ، تلك الهوية اللفظية التي تشير الى مسمى ، وتعطي دلالة ما ، قد ورثها ابناء جنسي من زمن سالف .

اعتقد ان الخلاف المتقدم منشؤه الدافع السياسي والعصبي ، والحظوة عند الخليفة الذي يجعل الطرفين متنافسين ومتجادلين اشد الجدال ، والا ما معنى هذا السجال الطويل ، وسواء اكان من السمو ام من السمة ، هل يضر في كاشفية اللفظ عن مسماه .

وهناك حديث عن اصناف الاسم ، مع ذكر اقسامه مشفعاً بالمصاديق ، فمن حيث هو اسم جنس ينقسم الى اسم عين واسم معنى ، وكلاهما ينقسم الى اسم غير صفة ، واسم هو صفة ، فالاسم غير الصفة نحو : رجل وفرس ، والصفة نحو راكب وجالس ، ومن حيث انه اسم علم ينقسم الى اسم نحو : زيد ، وكنية كأبي عمرو ، ولقب كبطة وقفة .

وينقسم الى مفرد ومركب ومنقول ومرتجل ، فالمفرد نحو : زيد والمركب نحو تأبط شراً والمنقول على ستة انواع منقول عن اسم عين كثور وعن اسم معنى كفضل وعن صفه كحاتم ، وعن فعل ماض كشمّر وعن مضارع كتغلب وعن امر كإصمت [٣١] وهلم جرا .

وهناك حديث عن الاسم من حيث اقترانه مع غيره ، يقول سيبويه في باب المسند والمسند اليه : ((وهما ما لا يغني واحد منهما عن الاخر ، ولا يجد المتكلم منه بدا

)) [٣٢] ، وقريب من هذا قول المبرد : ((وهما ما لا يستغني كل واحد من صاحبه)) [٣٣] .

وهناك حديث عن الاسم مع مصاديقه من حيث هو لفظ ، وله بنية يعتريها الزيادة والنقصان ، ويلحقها التغيير ، ومن ذلك على سبيل المثال ما ذكره سيبويه في باب تحقير كل اسم كان ثانيه ياء تثبت في التحقير [٣٤] وما ذكره المبرد في باب النسب الى كل اسم قبل اخره ياء مشددة [٣٥] .

وفي كتب القوم حديث عن الاسم من حيث انه واحد والمسمى متعدد ، وقد يكون المسمى واحد والاسماء متعددة ، ممثلين لذلك بجملة من المصاديق ، يذكر ابن فارس : ((وتسمى الاشياء الكثيرة بالاسم الواحد ؛ نحو " عين الماء " و " عين المال " و " عين السحاب " .

ويسمى الشيء الواحد بالاسماء المختلفة . " نحو السيف والمهند والحسام "))[٣٦]

وهناك مجالات رحبة حظي بها الاسم في كتب القوم ، وهي لا تخرج ، عموماً ، عن كونه ركناً اساسياً في عملية التواصل ، وان كان فيها حديث عن بعض خصائصه ولوازمه ، وهنا تقف المؤسسة اللغوية عن تقديم أي دور معرفي آخر [*] يمكن الافادة منه في ميادين المعرفة .

الاسم في الواقع العيني [**]

تحدثنا فيما تقدم عن واقع الاسم في المؤسسة اللغوية ، وما تستطيع ان تقدمه هذه المؤسسة من تصور عن مفهوم الاسم في موضوعاتها ومسائلها ، وتبين : ان الدور الاساس ينبعث من كونه اداة لفظية للكشف عما وراءه ووسيلة للاتصال ، وهنا يعرج الباحث على ميدان اخر ، يكون للاسم فيه اثر مهم وفعال ، وهو موقع الاسم من الوجود ورصيده المعرفي المنتج منه ، ودوره الايجابي في رفع بعض الهنات التي منيت بها المؤسسة اللغوية ، من خلال تقديم رؤية كونية شاملة تنبثق من ايديولوجية اسلامية متينة .

واذا كان القارئ يتعاطى مع النص الديني بوضوح ، ولاسيما النص القرآني غير المؤول الذي يجعل التنزيه والتسبيح للاسم ، وكذلك نصوص أهل البيت ، فانه سيجد ذلك الكم الهائل من الاستعمال الواقعي للاسم ، بطرح ينأى بعيداً عما ألفه الذهن العربي .

نعم ، اذا كان الاسم في الفكر اللغوي من مقولة الالفاظ والمعاني ، فانه في النصوص الاتية ينتمي الى مقولة اخرى ، ليست من ميدان علم اللغة ، بل من ميدان اخر ، يتخذ من الواقع موضوعاً له ، وإذا بحثنا عن العلوم التي تتخذ من الوجود الخارجي موضوعاً لها ، فلا نجد سوى الفلسفة الاولى التي تركن الاعتباريات وترفع الوهميات ، متخذة من الموجود بما هو موجود موضوعاً لها (٣٧) . لذا من الواجب على اللغوي ان يتأنى ، ولا يعجل ، ولا يجعل من نفسه اميناً على اللغة ، ووارثها الشخصي ، فيحمل الكلام على حقيقته تارة ، ولكنه حين يعجز عن طرح واقعي في معالجة بعض النصوص يصفها بالمجاز ، او يحملها على التوسع في اللغة والبيان ، فيحجم المعرفة ، ويسد الباب المعرفي امام القراء ، فيقف من حيث لا يشعر امام المعارف التي يطرحها المعصوم ، ويقصي دورها في فتح افق المعرفة ، وتنويرها بحقائق الوجود .

ومن هذه النصوص : –

عن ابي عبد الله (ع) ، قال : ((ان الله تبارك وتعالى خلق اسماً بالحروف غير مُتصوت ، وباللفظ غير مُنطق ، وبالشخص غير متجسد ، وبالتشبيه غير موصوف .....)) (٣٨) .

وعن الباقر(ع)، قال :((ان اسم الله الاعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً ،وانما كان عند آصف منها حرف واحد، فتكلم به، فخُسِف بالارض ما بينه وبين سرير بلقيس حتى تناول السرير بيده...)) (٣٩) وعن الصادق (ع) ، قال : ((ان عيسى بن مريم (ع) أعطي حرفين كان يعمل بهما ، واعطي موسى اربعة احرف ، واعطي ابراهيم ثمانية

احرف ، واعطي نوح خمسة عشر حرفاً ، واعطي آدم خمسة وعشرون حرفاً ، وان الله تعالى جمع ذلك كله لمحمد (ص) ....)) [٤٠].

واذا تعاطينا مع كتب الادعية والاذكار ، فاننا سنجد ان الامر اكثر صراحة ، ففي دعاء السماء : ((اللهم اني اسألك باسمك العظيم الاعظم الاعز الاجل الاكرم الذي اذا دُعيت به على مغالق ابواب السماء للفتح بالرحمة انفتحت ، واذا دعيت به على مضايق ابواب الارض للفرج انفرجت)) [٤١] .

وفي دعاء العهد : ((اللهم اني اسألك باسمك الذي اشرقت به السموات والارض .....)) [٤٢] .

وفي اخر : ((وأسألك باسمك الذي خلقت به عرشك الذي لا يعلم ما هو الا انت)) [٤٣] .

وفي دعاء الجوشن : ((أسألك باسمك الذي وضعته على السماء فاستقلت ، وعلى الارض فاستقرت ، وعلى الجبال فرست ، وعلى الليل فاظلم ....)) [٤٤] .

وفي دعاء اخر : ((واسألك باسمك الذي اقمت به عرشك وكرسيك في الهواء وباسمك الذي به سبقت رحمتك غضبك ، وباسمك الذي خلقت به الفردوس)) [٤٥].

وفي آخر : ((اللهم اني أسألك باسمك الذي به تقوم السماء ، وبه تقوم الارض .....)) [٤٦] .

الى غير ذلك من الادعية التي تؤكد صراحة ان استعمال الاسم فيها على غير ما ألفه اللغويون واستعملوه في ابحاثهم فهو شيء خارجي ، وله ابعاد تكوينية كالخلق والتربية والتدبير ، وكل شيء ، ومثل هذا لا يكون مع وجود اعتباري مركب من مجموعة من الحروف والاصوات المقطعة التي لا فاعلية لها سوى الكاشفية ، او الايصال الى اعتاب المسمى ، والبون بينهما عظيم ؛ لان هذا وجود محض ، واعظم منه ان يحكي هذا الوجود الكامل وجوداً صرفاً فوق ما لا يتناهى بما لا يتناهى ، وذلك ، واعني الاسم اللفظي ، يقوم وجوده باعتبار المعتبر ، واين التراب من رب الارباب .

وهنا قد يرد سؤال مفاده : هل يشكل الواقع العيني اسماً ؛ وهل يكون غير لفظي؟ ان الاشكال المتقدم وارد ، وقد اشار اليه الغزالي بقوله :

((الاسم هو اللفظ الموضوع للدلالة على المسمى))[٤٧]. وقال العلامة الطباطبائي : ((الذي يعرفه منه اللغة والعرف هو اللفظ الدال)) [٤٨]. لكن هذا لا يعني ان نقتصر على هذا الوضع، أي الاعتبار اللغوي، اذا اردنا ان نفهم اموراً خارجة عن هذه الدائرة الصغيرة التي تكون بين افراد النوع الانساني،لان هناك موجودات ارفع، واعلى رتبة وجودية ، فهي اذاً تتسع لتشمل الواجب والممكن .

واللغة انما وجدت للتفاهم في هذه المرتبة الدنية المحدودة فحسب ، من دون ان تنظر الى مراتب ونشآت تعلو هذه النشأة ، فقد ثبت ان هناك عالماً غير متعلق بالمادة ، فيه احكام المادة ، وهو علة لعالم المادة ، يسمى بعالم المثال ، وعالماً آخر مجرداً عن المادة واحكامها ، وهو علة لعالم المثال ، يسمى بعالم العقل [٤٩] . فضلاً عن المراتب التي فوقها .

ومن المسلم به عندنا ان هذه المراتب تسبق نشأتنا المادية ، وهي عوالم مجردة لا نكنه منها سوى بعض الاخبار التي تشير اليها ، اما ما موجود فيها ، فهذا موقوف على من وطأها بطهارة روحه وقلبه السليم ، ومن ثم نقول :

ان موجودات هذه العوالم لا تخضع لدائرتنا الكلامية ، ولا تستطيع الفاظنا الارضية ان تنالها ، او تفصح عنها .

ولكن هل يعني هذا ان نستسلم ، ونوصد باب المعرفة ؟

لا ريب ان موجد هذه النشأت جعل لها طريقاً ، يسلكه كل من تجردت نفسه ، وتطهرت روحه ، وتخلص من متعلقات البدن وشواغله في العالم المادي ، وهناك ستتجلى الحقائق ، ويفهم ما معنى الروح ، وكيف تكون الانهار من لبن ؟ ولماذا تكون حقائق الاشياء عصية على المتربعين في وعاء المادة ؟ وهنا يأتي دور التمثيل والرمز للفهم ، لان هناك ما يعسر فهمه ، ويصعب ادراكه الا بالركون الى مفاتيح المعرفة التي غرست في النص الديني نفسه ، واستشفها الباحثون عن الحقيقة ،

وفعلاً ترشحت بعض النظريات المنبثقة من تلك المبادئ الاصلية ، لتعالج المتشابهات ، وترفع ما يعسر على الذهن فهمه ، ومن هذه النظريات نظرية الالفاظ الموضوعة لارواح المعاني ، التي اسهمت في تجاوز ما قصرت اللغة عن نيله ، ومفادها : ان اللفظ موضوع للغاية والغرض السارية في كل الافراد والمصاديق ، لا انها المصاديق نفسها ، فالنار مثلاً موضوعة للاحراق ، وهذا المعنى هو الروح الساري في جميع المصاديق ، سواء أكانت مادية ام غير مادية [٥٠] .

ومثل هذا الامر نجده مع الاسماء ، فربما قصور المعتبر والفته الى خصوصيات هذه النشأة هو السبب في صرف هذا المفهوم الى اللفظ فحسب ، والا لو نظرنا الى روح الاسمية السارية ، وهي الغاية ، في كل المصاديق ، لتبين لنا غير ذلك .

ثم اننا ندرك ان التفاهم كما يحصل بالالفاظ ، يحصل بالرموز والرسوم والحقائق العينية التي اشرنا اليها فيما سبق ، وفي قصة حي بن يقظان خير شاهد فقد تعرف على الاشياء الخارجية المحيطة به ونسبها الى مبدعها وموجودها .

وعندما نركن الى الالفاظ دون غيرها من الوسائل ، فهذا لانها تعتمد على المقاطع الصوتية من دون ضميمة رسم او رمز ، ولكن هذا غير كاف ، وخصوصاً اذا علمنا ان هناك نشأت سيردها الانسان بوجوده الجمعي ، وسيحتاج الى وسيلة لألفته واجتماعه ، سواء اكانت باللفظ ام بغيره .

المهم ان الاسم قد يطلق ، ويراد به الوجود اللفظي الذي هو لازم ذاتي في التسمية عند اللغويين ، وقد يطلق ، ولا يراد به ذلك اللازم ؛ لان له من الشدة والسعة الوجودية ما يربو على الوجود اللفظي ؛ وقد التفت صدر الدين الشيرازي الى ان الاسم قد يراد به الدلالة العامة ، عندما ذكر ان هناك نقلاً في معنى الاسم من مطلق العلامة سواء اكانت باللفظ ام بغيره ، الى العلامة المخصوصة باللفظ [٥١] ، وقد تبنى هذا جمع من اهل التحقيق الذين يذهبون الى ان الدلالة غير مقصورة على عالم الوضع والالفاظ ، بل تشمل كل الموجودات ، سواء أكانت عينية ام ذهنية [٥٢] وهذا الكلام ينتج لنا ان الاسم اللفظي هو اسم للاسم العيني ، والاسم العيني هو

وجود خارجي يحكي بكمالاته مسماه ، يقول العلامة الطباطبائي : ((ان لفظ العالم من اسماء الله تعالى اسم يدل على مسماه ، وهو الذات مأخودة بوصف العلم ، وهو بعينه اسم بالنسبة الى الذات الذي لا خبر عنه الا بوصف من اوصافه ونعت من نعوته ، والسبب في ذلك انهم وجدوا لفظ الاسم موضوعاً للدلالة على المسمى من الالفاظ ، ثم وجدوا ان الاوصاف المأخوذة على وجه تحكي عن الذات وتدل عليه حال اللفظ المسمى بالاسم في انها تدل على ذوات خارجية ، فسموا هذه الاوصاف الداله على الذوات اسماً فانتج ذلك ان الاسم كما يكون امراً لفظياً كذلك يكون امراً عينياً ، ثم وجدوا ان الدال القريب على الذات ومنه وهو الاسم بالمعنى الثاني المأخوذ بالتحليل وان الاسم بالمعنى الاول انما يدل على الذات بواسطته ولذلك سمو الذي بالمعنى الثاني اسماً والذي بالمعنى الاول اسم الاسم)) (٥٣) .

أسمـاء الله بين الوجـود اللفظـي

والوجـود العينـي

للحديث عن الاسماء الإلهية لا بد من مرجع نؤول اليه في الفهم ، ليكون هو المسؤول عن تقديم تصور معرفي حول الاسماء وحقيقتها ، وخصوصاً عندما يتعلق الامر بجانب مهم من حياة الانسان ، وهو العقيدة ، فليس هو بتفسير لابيات من الشعر ، ولا تحليل لنص قصصي ، حتى يرسل المتلقي ادواته المعرفية – التي اكتسبها من مرجعيات شتى – لمعالجة النصوص وفحصها ، او ان يأتي بنظريات غربية ومناهج اوربية في معالجة نصوص صاغتها القدرة الالهية . انه تجنٍ واضح ؛ لان السنخية اذا لم تكن موجودة في الفهم ، واعني النصوص المقدسة ، فان المتلقي سينأى بعيداً ، وينحرف في تصوره ، ويؤسس – من ثم – منظومة معرفية قائمة على الوهم والخيال ، وتضحى الثقافة البشرية أسيرة الميول والاهواء

وفي هذا المجال لا نعول الا على مرجعية مقدسة ؛ لانها تحفظ لنا السنخية ، وتقدم الادوات المُعِيْنة للفهم ، وهي تتمثل بالنص القرآني نفسه وترجمانه ، وقد

عرفنا الله نفسه – لا بحقيقتها – من خلال اسمائه ، فقال ((ولله الاسماء الحسنى فأدعوه بها)) الاعراف ١٨٠ ، وبث هذه الاسماء من خلال مقتضياتها في القرآن ، وقد جمعها ورتبها ، بحسب ترتيب السور ، ابو زيد سعيد بن اوس ابن ثابت الانصاري [٥٤] ، وفعل مثل ذلك الدكتور حسن الجمل [٥٥] والشيخ علي الطنطاوي [٥٦] وغيرهم [٥٧] ، ورتبها بحسب حروف الهجاء القرطبي[٥٨] والعلامة الطباطبائي [٥٩] والعثيمين[٦٠] وهناك من جمعها من دون ترتيب الهجاء والسور [٦١] .

ولا يوجد في جمع الاعلام والدارسين اتفاق حول عدد الاسماء ، لانها في القرآن موزعة بحسب الحاجة اليها ، فضلاً عن ذلك ان منها ما هو وصف ، وما صدر بـ ((ذو))، وما كان مضافاً ، وهذا من شأنه ان يجعلهم متفاوتين في تحديدها واستخراجها ، وخصوصاً اذا علمنا ان الرواية الشائعة تحددها بـ تسعة وتسعين اسماً .

وفي الجملة هي اسماء تنتمي الى مقولة الالفاظ ؛ لانها مجموعة من الحروف المنتظمة والاصوات المؤتلفة التي تشير الى الذات الالهية ، وحين يتأمل الباحث في القرآن الكريم – بغض النظر عما جمعه الاعلام – فانه سيجد ، ثمة ، نحواً من الاسماء لا تنتمي الى المقولة السابقة ، قال تعالى : ((سبح اسم ربك الاعلى)) الاعلى ١ ، و ((تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام)) الرحمن ٧٨ ؛ لانها صريحة في ترتيب الاثار على الاسم ؛ ولا نستطيع ان نحمل الاثنين على الاتجاه نفسه بالتأويل ، ما لم نستدعِ عدل القرآن وترجمانه ؛ ليكون له الحكم الفصل ، ولا شك ان ما بأيدينا من نصوص تؤكد الاتجاهين معاً ، فقد جاء في الحديث النبوي :

((لله تسعة وتسعون اسماً – مائة الا واحدة – لا يحفظها احد الا دخل الجنة)). [٦٢] وفي رواية ((ان لله تبارك وتعالى تسعة وتسعين اسما مائةً الا واحداً من احصاها دخل الجنة)) [٦٣] . وهناك من ذكر ثلاثمائة وستين اسماً [٦٤] ، وذُكر غير هذا العدد [٦٥] ، حتى اوصلها بعضهم الى اربعة الآف اسم [٦٦] . وربما صُرح بعد تناهيها [٦٧] .

ولم يستند العلماء في ذكرهم اعداد الاسماء الى الرأي والاجتهاد ، بل يعتمدون على النصوص الدينية وكتب الصحاح .

ان اعداد الاسماء المذكورة تمثل البعد اللفظي من الاسماء ، فهي الفاظ تدل على الذات الالهية ، ودلالتها ليست تكوينية بل اعتبارية ، تؤخذ بلحاظ كمال الذات في وصف من اوصافها . وهنا قد يرد سؤال مفاده : هل وقفت احاديث الرسول واهل بيته عند هذا الحد ؟

الجواب : ان هناك نصوصاً اخر تقف ازاء الاسماء اللفظية ، وتكشف عن بعد وجودي للأسماء الالهية ، فقد روي عن عائشة ام المؤمنين انها قالت : ((يا رسول الله علمني اسم الله الذي اذا دعيت به اجاب . قال لها (ص) : قومي فتوضئي وادخلي المسجد فصلي ركعتين ، ثم ادعي حتى اسمع . ففعلت ، فلما جلست للدعاء قال النبي (ص) : اللهم وفقها . فقالت اللهم اني اسألك بجميع اسمائك الحسنى كلها ما علمنا منها وما لم نعلم ، واسألك باسمك العظيم الاعظم ، الكبير الاكبر ، الذي من دعاك به اجبته ، ومن سألك به اعطيته ....)) [٦٨] .

وقال الامام علي (ع) : ((وبأسمائك التي ملأت اركان كل شيء)) [٦٩] ، وفي رواية ((غلبت اركان كل شيء)) [٧٠] .

وفي حديث عن الامام الصادق (ع) : ((نحن والله الاسماء الحسنى ...)).[٧١]

وهناك نصوص كثيرة تقدم ذكرها ، ولكن طرح الاسماء بهذين الاتجاهين قد يثير تساؤلات ، او يولد شبهات في ذهن المتلقي ، وخصوصاً ان الاتجاه السائد في طرح الاسماء هو الاول ، والفته اكثر في الثقافة الدينية ، لذلك وجود من ينكر الامر الثاني امر مسلم به ، في حين الاحرى بالمتلقي ان يتعاطى مع نصوص الاتجاهين بحذر ، وان يتأمل كثيراً قبل ان يبت بالحكم ؛ لان المعصوم ألذي يمثل الثقل الثاني في الثقافة الدينية ، والمعارف الالهية يتعامل مع الناس بحسب عقولهم ، فمرة ينظر الى البعد الاولي من الاسماء ، فيكون اللفظ هو الواسطة في الفهم ، والمعرفة الالهية تحصل من خلال هوية لفظية تدعوه بها ، اوجدها الله واعدها ، وامرنا ان نتوسل بها

؛ فهي السبيل لمعرفة الخالق والتوجه اليه في الدعاء ، وفي كتب الصحاح التي تتحدث عن الاسماء المعدودة ما يؤكد كونها وسيلة للتعلم ، وقد علق دخول الجنة على احصائها ، وهذا يشمل الناس جميعاً من دون النظر الى حيثيات اخر .

ولكن المعارف الالهية العالية ، واسرار الوجود لا تنال بالطريقة العامة التي يشترك فيها الناس جميعاً ، فعقول الناس ليست على سمت واحد ، ومراتب الفهم تتفاوت من شخص الى اخر ، ووسائل المعرفة مشككة ، قد تحصل لزيد منها المرتبة الدنيا ، وينال غيره المرتبة العالية . قال تعالى : ((وفوق كل ذي علم عليم)) يوسف ٧٦ . والمعصوم يتعامل مع كل شخص بحسب استعداده ومرتبته ، فليس من الحكمة ايصال المعارف العالية والدقيقة الى من لا يستحقها ولا يقدر قيمتها ، فلربما ازدراها ، وتعرض اليها بالأساءة ، او انه لا يتعامل معها الا على وفق ما عنده من مرجعيات ، فمثلاً تعليم ام المؤمنين طريقة الدعاء ، وكيفية استخدام الاسم ينبئ عن رتبة زائدة على الفهم المتقدم للأسماء التسعة والتسعين ، والا كان بأمكانها ان تأخذ الاسم اللفظي المناسب للظفر بمرادها ونيل حاجتها .

وفي دعاء الامام علي (ع) نجد تخلصاً وانتقالاً بطيئاً في الفهم ، لمن اراد ان يتدرج في المعرفة ، والوصول الى اسرار الوجود ، ابتداءً من البعد اللفظي للأسماء الى بعد اخر ، تكون فيه الاسماء مالئة كل شي ، او انها غالبة كل شيء لا الوجود المادي الذي نحن بتماس معه ، وهذا لا يكون الا اذا تجرد المتلقي ، وابتغى الوصول الى اسماء الله الواقعية السارية في كل شيء ، وعندئذ يدرك ان هذه الاسماء ما هي الا عالم الخلق الالهي المتجلية في هذا الوجود الرحب التي تكشف المسمى الاصيل بواقعيتها ومرتبتها من الوجود وحظها من الكمال ، وفي هذا يذكر الالوسي ان ((ما من شيء يبرز للوجود من خبايا الجود الا وهو اسم من اسمائه تعالى)) [٧٢] .

وصرح اخرون ان : ((كل ما في الكون انما هو من آثار اسماء الله ، وما ثم الا اسماؤه))[٧٣] . وليست هذه الاسماء من مقولة الالفاظ ، لان الحديث فيها عن الوجود والموجود والواقع الخارجي الذي هو رشحة من رشحات الكمال المطلق .

اما حديث الامام الصادق (ع) ، فأشارته واضحة الى البعد الوجودي للاسماء التي لا يضمها حقل الالفاظ والمعاني بل هي من حقل تقوم عليه جملة من المعارف الالهية العالية ، واهمها الخلافة الالهية ، فاذا فهمنا ان الخلافة تعني النيابة عن الغير ، فهذا يستلزم ان يكون بين الطرفين نحو من المسانخة في الكمالات ؛ لان من دونها لا تتحقق النيابة عن الله عز وجل مطلقاً ، فالنقص والضعف والفساد تسلب الثقة ، وتعدم الاطمئنان في بعض جوانب الحياة ، فكيف يكون الامر اذا كانت الخلافة عن الله عز وجل . ولما كان الجاعل حكيماً يتمتع بكمالات وجودية عالية ، بل من كل كمال اعلاه ، نال الخليفة من تلك الكمالات ما جعلته اهلاً للخلافة وتلك هي كمالات الاسماء (*) .

لقد اشار الامام صراحة الى الدور الذي تؤديه الاسماء في المعرفة تلك الاسماء الوجودية التي هي خلائف الله في الارض من خلال بعدها التكويني ، واهليتها لان تكشف الكمالات الالهية الوسيعة ، ومن ثم فان التوجه الحقيقي للمعبود يتم من خلال اسمائه ، ومن دون معرفة هذه الاسماء تكون معرفة المسمى مستحيلاً ؛ اذ لا يوجد اسم تكويني اكثر كاشفية من الانسان الكامل .

اذاً مما تقدم يتبين ان النص الديني الذي انتجه المعصوم في طرحه للاسماء على صنفين : الاول هو غرس التصور اللفظي عن الاسماء في ارض بدائية ، فكانت تسعة وتسعين ، والفاً ، واربعة الاف . والثاني هو الوصول بالمتلقي الى مرتبة كاشفة عن حقيقة الوجود ، والفعل الالهي ، ابتداءً من ادنى مرتبة الى اعلى مرتبة لانها مظهرة الكمال الالهي ، والتعرف على الكمال الالهي هو غاية الخلقة والايجاد . قال تعالى : ((وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)) الذاريات ٥٦ . والعبادة فرع المعرفة .

والعلاقة بين الصنفين هي علاقة الظل بذي الظل ، فالاول هو الظل الكاشف عن وجود الشيء الخارجي ، والثاني هو الشيء الخارجي نفسه ، وقد صرح الشيرازي بان

الذات ((باعتبار تجل خاص من تجلياته الذاتية او الافعالية تسمى باسم من الاسماء ، وهذه الاسماء الملفوظة هي اسماء الاسماء)) [٧٤] .

الآثار المترتبة على كلا الوجودين :

١ . اذا كان الاسم علامة لفظية ، فهو اقرب الى الاعتبار منه الى الحقيقة ، لان حصول التفاهم بوسيلة الاعتبار مستند الى جعل العقلاء . وهذا بدوره يجعل نحو الكاشفية ضعيفاً بين اللفظ وما يشير اليه ، فليس ثمة خصوصيات تبرزها اشارة الاسم الى المسمى ، بل هو امر يتواطأ عليه ابناء النوع من خلال العلقة بين الجعل والموضوع له ، كما لو وضع لشيء من الاشياء اسم الحجر او الفرس .. في حين لا تكون العلاقة التكوينية كذلك ؛ لان الاسم والمسمى كليهما امر خارجي .

٢ . ان الاسم اللفظي مرتبط بعالم الخلق الانساني ، وبمعنى ان الاصوات تنتج من جهاز نطقي خاص بالانسان ، وهي عارضة عليه ، تُتخذ وسيلة للوصول الى المسميات عند الانسان فيما يحتاج اليه من لوازم وجوده الاجتماعي ، وهذا غير موجود في الاسم العيني ، لانه مرتبط بعالم العين .

٣ . ما يترشح من الفقرة السابقة ان الاسماء اللفظية محددة بحدود ما تشكله الحروف والمقاطع الصوتية ، فلا يعجز العادون عن حفظها واحصائها ، وما موجود في المعجمات العربية دليل استيعابها ، بخلاف الاسماء العينية التي لا تحد بالحدود البشرية ، ولا تعُد بالقدرة الانسانية ، فلو زود الانسان بكل الطاقات ، واعطي كل الوسائل ، لنفد عمره من قبل ان يحصي ما وجد على الارض ، فكيف والله خالق عوالم جمة ، وبذلك يصبح الرصيد المعجمي للاسم العيني غير محدود بالنسبة للانسان . وفي هذا رد على كل من يقول ان اسماء الله غير متناهية او لا حصر لها وهو يتحدث عن اسماء الله اللفظية [٧٥] .

٤ . ان الاسماء اللفظية من خلال علقتها الاعتبارية ، ومنشئها الانساني ، اصبحت دائرة للتداول الانساني ، في حين ان الاسماء العينية مجالها اوسع ؛ لانها امر

تكويني جعلها الله عز وجل في مخلوقاته ، فكما ان الانسان يضع الالفاظ للاهتداء الى الاشياء ، فان الاشياء جميعاً علائم بعضها وخصوصاً في مجال المعاليل الكاشفة عن عللها .

٥ . لا توجد علاقة بين شبكات الاسماء اللفظية عند جعلها علامات على مسمياتها ، وهذا يكشف عدم فاعليتها في التكوين ، وما نجده من ترابط بين موجودات عالم الخلق ، وانسجام في الالفة والنظام يكشف عن علاقة تكوينية اوجدها مبدع حكيم واراد لها – بنسقها – ان تكون اسماء دالة على وجوده .

٦ . ان الاسماء اللفظية بجنبتها الاعتبارية لا تكشف أي بعد في ذات المسمى ، ولا تبرز سوى الهوية بصورتها المجملة ، كأن يشير لفظ (زيد) الى صديقك المعهود ، او يرمز لفظ (القلم) الى ما يكتب به من دون زيادة ايضاح حول الذاتيات والعوارض ، والامر مختلف – تماماً – في الاسماء العينية ، لان كل موجود عيني يكشف بهويته الوجودية كمالات موجودة ، ويصبح بما له من كمال علامة على كمال موجده ، فمثلاً لفظ الجبل المشير الى ذات الجبل لا يكشف أي بعد فيه سوى تلك الهوية اللفظية للتداول ، في حين ان الاسم العيني (وجوده الخارجي) يكشف بما له من كمالات كالقوة والصلابة والثبات والشموخ كمالات موجده .

٧ . ينتج من الفقرة السابقة ان هناك اسماً واسماً لهذا الاسم ، فاللفظ يرمز الى موجودات العالم ، وموجودات العالم اسماء لمسمى اعلى واعظم .

٨ . لا توجد أي درجة تشكيك في علامية الاسم اللفظي على مسماه ، فهناك اسماء كثيرة ومسميات كثيرة . وظهور التشكيك واضح في علامية الاسم العيني على مسماه ، فمثلاً : هل يستطيع عاقل ان يقارن بين علامية الموجود الانساني ، والموجودات الاخرى كالسموات والارض ، فعلى عظم الموجودات الاخرى تبقى كاشفيتها عن مسماها ضعيفة بالنسبة الى الانسان ؟ لان الموجود اذا كان اتم كانت دلالته اقوى [٧٦] .

ومما لا ريب فيه ان موجودات عالم الامكان متعددة ومتنوعة ، واشرف هذه الموجودات على الاطلاق هو الانسان ؛ لانه خليفة الله دون غيره . يقول الآلوسي في تفسير الآية الثالثة والثلاثين من سورة البقرة : ((فكأنه قال جل شأنه – اريد الظهور بأسمائي وصفاتي ولم يكمل ذلك بخلقكم – فأني اعلم ما لا تعلمونه لقصور استعدادكم ونقصان قابليتكم ، فلا تصلحون لظهور جميع الاسماء والصفات فيكم ...))[٧٧] واذا كان سموه – هكذا – على الملائكة ، فكيف بغيرهم ؟ !

ذاً اسمية الانسان للذات الالهية اعلى واتم من كل اسمية .

هذا بالنسبة الى علامية الاسم العيني في المرتبة الدنيا (العالم المادي) ، اما العوالم التي فوقها ، فان ظهور الاسماء فيها يختلف من حيث الشدة والضعف والدرجة الوجودية ، فعالم المثال اشد اسمية من عالم المادة ، واضعف اسمية من عالم العقول ، وكذا بالنسبة الى مراتب الذات الآلهية [*] .

٩ . الاسم اللفظي لا يكشف ادب التعامل مع المسمى ؛ لانه مجموعة من الحروف المشيرة ، خلقت حالة من الفهم والتصوير عن المسمى لدى التداول ، ومثل هذا لا يكون مع الاسم العيني ؛ لانه يتعامل مع مجموعة من الكمالات الوجودية المودعة في عالم الامكان التي تتكلم وتنبيء عن مسماها ، ومن ثم لا يكون تداوله معها الا بعدّها تجلياتٍ لكمال المسمى ، وشتان بين الاثنين ؛ لان الوقوف على تلك الهويات يشعر بنحو من الخضوع والتطامن ازاء حكايتها عن مسماها ، ولا شك ان حضور الاسم نفسه يجلجل الاحاسيس ويرهب المشاعر ، ويوجد بعداً من القيم والمفاهيم الاخلاقية في حالة التعامل مع المسمى .

١٠ . ان التداول والتواصل في حالة الاسم اللفظي لا يكون الا جمعيا ، فلا يكون استعمال اللفظ من جانب واحد ؛ لان المستعمل يتوصل به الى ما يقوم كيانه الاجتماعي . اما الاسم العيني ، فليس من الضروري ان يكون ثنائياً او جمعياً ؛ لان التعامل لم يكن الا وسيلة يتوصل به الى ديمومة الحياة الاجتماعية في الاول ، وطريقاً للوصول الى رب الوجود في الثاني ؛ فهو الذي يبرز هوية الوجود ، ويفصح

عن كمال المسمى بالوجود ، ولا علاقة له بالجانب الإلفي والاجتماعي ، بل هو اقرب الى توجهات الشخص الفردية الرامية الى ايجاد ايديولوجية متينة قائمة على رؤية كونية لاهوتية ، تتمثل بها تلك العلاقة الآياتية والمرآتية بين الاسم والمسمى حتى تضحى النظرة الواقعية للتوحيد الذاتي والاسمائي والافعالي هي المهيمن الرئيس في وجود الانسان بهذه النشأة ، لكن لما كان الانسان بحسب طبيعة هذه النشأة المادية يركن الى المكان والزمان ، ويحتاج الى الحركة والانتقال ، ظهرت فاقته الى ما يرفع حوائج كيانه المادي ، فاحتاج الى التواصل والتعامل مع ابناء نوعه ، كي يحافظ بمتطلبات هذه النشأة على كماله الاخير المتمثل بحركة روحه الشامخة نحو خالقها ومبدعها .

١١ . لا توجد سنخية بين الاسم والمسمى في الاسم اللفظي ، فقد يسمى الانسان بحجر وصخر وغير ذلك ، اما الاسم العيني ، فانه يسانخ المسمى ؛ لان الوجود – كما ثبت (**) – حقيقة واحدة مشككة تتفاوت فيما بينها بالشدة والضعف ، فيكون وجود المسمى اشد من وجود الاسم ، وفي حديث الآلوسي عن الخلافة الآلهية ما يؤيد ذلك .

الهوامش :

١- ينظر : الخصائص ٦٧ .

٢- ينظر : الكتاب ١ / ١٢ .

٣- ينظر : المقتضب ١ / ٣ .

٤- ينظر : شرح جمل الزجاجي ١ / ٩ وما بعدها .

٥- ينظر :الاصول في النحو ١ / ٣٦ .

٦- ينظر : شرح المفصل ١ / ٤٠ ،وشرح التسهيل ١ / ٣ وما بعدها ، وشرح الرضي على الكافية ١ / ٢٧ وما بعدها .

٧- ينظر : الكتاب ١ / ١٢ .

٨- المقتضب ١ / ٣ .

٩- شرح المفصل ١ / ٤٨ .

١٠- السابق نفسه ١ / ٤٨ .

١١- شرح جمل الزجاجي ١ / ١٤ .

١٢- شرح الكافية ١ / ٣٦ .

١٣- همع الهوامع ١ / ٢٥ .

١٤- الصاحبي ٩٠ .

١٥- السابق نفسه ٩٠ .

١٦- شرح جمل الزجاجي ١ / ١٢ .

١٧- شرح التسهيل ١ / ٩ .

١٨- البحر المحيط ١ / ٣٠ .

١٩- الدر المصون ١ / ١٧ ، وينظر : اللباب في علوم الكتاب ١ / ١٢٤ .

٢٠- الصاحبي ٩٠ .

٢١- مفردات الفاظ القرآن ٤٢٨ .

٢٢- المحكم والمحيط الاعظم ٢ / ٤١٤ ، وينظر : تاج العروس ١٩ / ٥٣٨ .

٢٣- المقتضب ١ / ٣ ، وينظر : الصاحبي ٩٠ – ٩١.

٢٤- ينظر : شرح جمل الزجاجي ١ /٢٢ – ٢٦ .

٢٥- ينظر : شرح الفصل ١ / ٥١ – ٥٤ .

٢٦- ينظر : شرح التسهيل ١ / ١٠ – ١٣ .

٢٧- ينظر : الانصاف ١ / ١٧١ ، وشرح المفصل ١ / ٥٠ – ٥١ .

٢٨- ينظر : معاني القرآن واعرابه ١ / ٤٦ ، الانصاف ١ / ١٧ وما بعدها ، شرح المفصل ١ / ٥٠ – ٥١ .

٢٩- ينظر: تهذيب اللغة ١٣/ ١١٧، والمخصص ٢١٥/٥، وتاج العروس ١٩/ ٥٣٨.

٣٠- ينظر : التفسير الكبير ١ / ١٠٥ ، والجامع لاحكام القرآن ١ / ١٥٦ .

٣١- ينظر : شرح المفصل ١ / ٥٥ – ٦٨ .

٣٢- الكتاب ١ / ٢٣ .

٣٣- المقتضب ٤ / ١٢٦ .

٣٤- ينظر : الكتاب ٣ / ٤٨١ .

٣٥- ينظر : المقتضب ٣ / ١٣٥ .

٣٦- الصاحبي ١١٤ ، وينظر : المزهر ١ / ٢٩٦ وما بعدها ، والمشترك اللغوي نظرية وتطبيقاً ٢٦١ ، ٣٨٥ .

(*) هناك تصريح من بعض اللغويين عن علاقة الاسم بالمسمى ، فقد ذهب سيبويه الى ان الاسم غير المسمى من دون ان يقدم دليلاً على مدعاه ، وابو عبيده ذهب الى ان الاسم هو المسمى .

ينظر تهذيب اللغة ١٣ / ١٧ وينظر رأي ابي عبيدة في كتابه مجاز القرآن ١ / ١٦ .

(**) المقصود من الواقع العيني هو الوجود الخارجي .

٣٧- ينظر : المنهج الجديد ١ / ٨١ ودروس في الحكمة المتعالية ١ / ١٤١ وما بعدها .

٣٨- الكافي ١ / ٢٧٤ .

٣٩- السابق نفسه ١ / ٥٧١ .

٤٠- السابق نفسه ١ / ٥٧٢ .

٤١- مصباح المتهجد ٢٤٥ ، المصباح ٥٣٧ .

٤٢- مفاتيح الجنان ٦١٣ وينظر المصباح ٨٠١.

٤٣- مصباح المتهجد ١٧٤ .

٤٤- زاد المعاد ٤٤٨ ، وينظر مفاتيح الجنان ١٦٠ .

٤٥- مصباح المتهجد ١٧٥ .

٤٦- السابق نفسه ١٤٢ .

٤٧- المقصد الاسنى ١٤٨ ، وينظر فتح الباري ١ / ١٨٨ .

٤٨- الميزان ١ / ١٧ .

٤٩- ينظر : الانسان والعقيدة ١٥ .

٥٠- ينظر : تفسير الصافي ١ / ٦٧ – ٦٨ ، وينظر اداب الصلاة ٣٥٩ .

٥١- ينظر : تفسير القرآن الكريم ١ / ٣٢ .

٥٢- اسماء وصفات الحق تعالى ١١٥ – ١٥٠ .

٥٣- الميزان ١ / ٢٠ ، وينظر الكلمة العليا في توقيفية الاسماء الحسنى ٦٥ – ٦٦.

٥٤- ينظر : اشتقاق اسماء الله ٢١، ٢٢، والاسنى في شرح اسماء الله الحسنى٦١–٦٦ .

٥٥- ينظر : الاسماء الحسنى ٣١ وما بعدها .

٥٦- ينظر : القول الاسمى في شرح اسماء الله الحسنى ٩٨ .

٥٧- ينظر : اسماء الله الحسنى للشعراوي ١١٩ .

٥٨- ينظر : الاسنى ٧٢ – ٧٤ .

٥٩- ينظر : الميزان ٨ / ٣٦١ .

٦٠- ينظر شرح القواعد المثلى في صفات الله واسمائه الحسنى ٧٣ – ٧٤ .

٦١- المفاهيم المثلى في ظلال شرح اسماء الله تعالى الحسنى ٢٣٧ وما بعدها .

٦٢- ينظر : فتح الباري ١ / ١٨٠ ، واسماء الله الحسنى دراسة في البنية والدلالة ٨ .

٦٣- التوحيد ١٨٩ – ١٩٠ ، وينظر الاسماء والصفات ١٥ .

٦٤- ينظر :الكافي ١ / ٢٧٥ .

٦٥- ينظر : شرح الاسماء ٦ – ٧ ، وينظر : فتح الباري ١ / ١٨٧ .

٦٦- ينظر : التفسير الكبير ١ / ١٤١ ، وينظر : اسماء الله الحسنى لابن القيم ٨٠ ، وينظر : فتح الباري ١ / ١٨٧ .

٦٧- ينظر : السابق نفسه ١ / ١٤٢، وينظر : اسماء الله الحسنى للشعراوي ٢٦– ٢٧ . واسماء الله الحسنى آثارها واسرارها ٥ .

٦٨- الاسماء والصفات ١٨ ، الاسنى ١٢ .

٦٩- ينظر : زاد المعاد ٦٠ ، ومفاتيح الجنان ١١٥ ، وشرح دعاء كميل ٤٨ .

٧٠- ينظر : مصباح المتهجد ٤٩٣ ، واقبال الاعمال ٢٢٠ .

٧١- الكافي ١ / ٣١٥ .

٧٢- روح المعاني ١ / ٣٠٣ .

٧٣- النور الاسنى في شرح اسماء الله الحسنى ١١ وينظر : في ملكوت الله ٩ .

(*) ان الخلافة عن الله عز وجل هي خلافة اسمائية . انظر : روح المعاني ١ / ٢٢٣.

٧٤- مفاتيح الغيب ٤٠٥ ، وينظر : تفسير القرآن الكريم ١ / ٣٤ ، وعلم اليقين ١ / ١٤٤ – ١٤٥، وشرح الاسماء ٨١ ، والكلمة العليا في توقيفية الاسماء الحسنى ٦٥ – ٦٦ .

٧٥- ينظر ، التفسير الكبير ١ / ١٤٢ ، واسماء الله الحسنى لابن القيم ٨٠ ، وشرح القواعد المثلى ٦٢ ، واسماء الله الحسنى للشعراوي ٢٦ – ٢٧ .

٧٦- البيان في تفسير القرآن ٤٥٨ – ٤٥٩ .

٧٧- روح المعاني ١ / ٣٠٢ .

(*) للذات الالهية مراتب من الظهور ذكرها المتألهون والحكماء في كتبهم ، وفي كل مرتبة من الظهور تكون اسماً لما فوقها ، وهكذا الى ان نصل الى الرتبة العالية التي لا اسم لها ولا رسم . ينظر : مجموعة رسائل العلامة الطباطبائي ٤٧ ،والمنهاج الاسنى في بيان مقام الاسماء الحسنى ٥٧ وما بعدها .

(**) اثبتت مدرسة الحكمة المتعالية بالدليل ان الوجود حقيقة واحدة مشككة ، وهي من مبتنيات هذه المدرسة التي تقوم عليها جملة من المسائل . ينظر : دروس في الحكمة المتعالية ١ / ٢١٣ وما بعدها .

مصادر البحث ومراجعه :

١- القرآن الكريم .

٢– آداب الصلاة ، روح الله الخميني ، مؤسسة تراث الامام الخميني ط ٦ / ٢٠٠٣ م .
٣ – الاسماء الحسنى ، للدكتور حسن عز الدين الجمل ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٩ م .
٤ – اسماء الله الحسنى ، لابن القيم الجوزية ، تح يوسف علي ، ود. ايمن عبد الرزاق ، دار الكلم الطيب ، بيروت ، ط ٣ ، ٢٠٠٢ م .
٥ – اسماء الله الحسنى ، محمد متولي الشعراوي ، مطبوعات اخبار اليوم قطاع الثقافة د. ت .
٦ – اسماء الله الحسنى آثارها واسرارها ، للدكتور محمد بكر اسماعيل ، دار المنار ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٠ م .
٧ – اسماء الله الحسنى دراسة في البنية والدلالة ، للدكتور احمد مختار عمر ، عالم الكتب ، ط ١ ، ١٩٩٧ م .
٨ – الاسماء والصفات للبيهقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠١ م .
٩ – اسماء وصفات الحق تعالى ، للدكتور غلام حسين، تعريب عبد الرحمن العلوي ، دار الهادي ، ط ١ ، ٢٠٠٤ م .
١٠– الاسنى في شرح اسماء الله الحسنى وصفاته ، للقرطبي ، تح عرفان بن سليم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ٢٠٠٨ م .
١١– اشتقاق اسماء الله، للزجاجي ، تح الدكتور عبد الحسين المبارك ، دار الفكر– دمشق ، ط ١ ، ٢٠٠٩ م .
١٢ . الاصول في النحو ، لابي بكر محمد بن السراج ، تح د. عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٨ م.
١٣– اقبال الاعمال، لابي القاسم علي بن موسى بن طاووس ، قدم له وعلق عليه حسين الاعلمي ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٦ م .
١٤– الانسان والعقيدة ، محمد حسين الطباطبائي ، مطبعة فدك ، ط ١ ، ٢٠٠٥ م .
١٥– الانصاف في مسائل الخلاف ، للانباري ، قدم له حسن احمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٨ م .
١٦– البحر المحيط في التفسير ، لابي حيان ، دار الفكر ، ٢٠٠٥ م .
١٧– البيان في تفسير القرآن ، ابو القاسم الخوئي ، مطبعة العمال المركزية ، بغداد ، ١٩٨٩م.
١٨– تاج العروس من جواهر القاموس ، للزبيدي ، تح علي شيري ، دار الفكر ، ١٩٩٤ م .

١٩- تفسير الصافي ، المولى محسن الكاشاني ، تح محسن الحسيني الاميني ، دار الكتب الاسلامية ، ايران ط ١ ، ١٤١٩ هـ .
٢٠- تفسير القرآن الكريم ، صدر الدين الشيرازي ، انتشارات بيدار . قم . د. ت .
٢١- التفسير الكبير ، فخر الدين الرازي ، دار احياء التراث ، ط ١ ، ٢٠٠٨ م .
٢٢ – تهذيب اللغة ، للازهري ، تح عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، د. ت .
٢٣ – التوحيد ، محمد بن علي القمي ، صححه وعلق عليه هاشم الحسيني الطهراني ، مؤسسة النشر الاسلامي ، ط ٩ ، ١٤٢٧ هـ .
٢٤ – الجامع لاحكام القرآن ، للقرطبي ، تح عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، ٢٠٠٦ م .
٢٥- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي ، تح الدكتور احمد الخراط ، دار القلم ، دمشق ، ط ٢ ، ٢٠٠٣ م .
٢٦ – دروس في الحكمة المتعالية ، كمال الحيدري ، دار فراقد ، ط ٣ ، ٢٠٠٥ م .
٢٧ – روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني ، للالوسي ، تعليق محمد احمد الامد ، وعمر عبد السلام السلامي ، دار احياء التراث العربي ، ط ١ ، ٢٠٠٠ م .
٢٨ – زاد المعاد ، محمد باقر المجلسي ، تعريب وتعليق علاء الدين الاعلمي ، مؤسسة الاعلمي بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٣ .
٢٩ – شرح الاسماء الحسنى ، حسين الهمداني ، تح محسن بيدارفر ، انتشارات بيدار ، قم ، ط ٢ ، ١٤٢٦ هـ .
٣٠- شرح التسهيل،لابن مالك الاندلسي ، تح د. عبد الرحمن السيد و د. محمد بدوي ، مطبعة هجر ، ط ١ ، ١٩٩٠ م .
٣١- شرح جمل الزجاجي ، لابن عصفور الاشبيلي ، تح د. انس بديوي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٣ م .
٣٢- شرح دعاء كميل ، عبد الاعلى السبزواري ، مؤسسة الهداية ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٤ م .
٣٣- شرح الكافية ، للرضي الاسترابادي ، تح يوسف حسن ، مؤسسة الصادق ، ط ٢، د.ت .
٣٤- شرح المفصل ، لابن يعيش ، تح احمد السيد سيد احمد ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، د.ت .
٣٥ – الصاحبي ، احمد بن فارس ، تح احمد صقر ، دار احياء الكتب العلمية ، د. ت.

٣٦- علم اليقين في اصول الدين ، محسن الكاشاني ، تح محسن بيدارفر ، مؤسسة التاريخ العربي ، ط ١ ، ٢٠٠٥ م .

٣٧- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لابن حجر العسقلاني ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ٢ ، د. ت .

٣٨- في ملكوت الله مع اسماء الله ، للعارف عبد المقصود محمد سالم ، شركة الشمرلي،القاهرة ، د. ت .

٣٩- القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد ، لابن عطا الله السكندري ، تح خالد محمد خميس ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، د. ت .

٤٠ – القواعد المثلى في صفات الله واسمائه الحسنى ، محمد بن صالح العثيمين ، خرج احاديثه وعلق عليه اسامة عبد العزيز ، دار التيسر ، ط ١ ، ٢٠٠٥ م .

٤١- القول الاسمى في شرح اسماء الله الحسنى، للشيخ علي احمد الطهطاوي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٣ م .

٤٢- الكافي ، محمد بن يعقوب الكليني ، تح قسم احياء التراث ، مركز بحوث دار الحديث ، ط ٢ ، ١٣٨٨ش .

٤٣- الكتاب ، لسيبويه ، تح عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ٤ ، ٢٠٠٤ م.

٤٤- الكلمة العليا في توقيفية الاسماء الحسنى ، حسن زاده املي ، مؤسسة المعارف الاسلامية ، ط ١ ، ١٤١٦ هـ .

٤٥- اللباب في تفسير الكتاب ، كمال الحيدري ، دار فراقد ، ط ١ ، ٢٠١٠ م .

٤٦- اللباب في علوم الكتاب ، لابي حفص الحنبلي ، تح عادل احمد عبد الموجود ، و د. محمد المتولي الدسوقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٨ م .

٤٧- مجاز القرآن ، لابي عبيدة التيمي ، علق عليه د. محمد فؤاد ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، د.ت .

٤٨- المحكم والمحيط الاعظم ، لابن سيده ، تح د. عبد الفتاح السيد سليم ، و د. فيصل الحفيان ، معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، ط ٢ ، ٢٠٠٣ م .

٤٩- المخصص ، لابن سيده ، قدم له د. خليل ابراهيم جفال ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٦ م .

٥٠- المزهر في علوم اللغة وانواعها ، للسيوطي ، شرح وتعليق محمد ابو الفضل ابراهيم ومحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ، المكتبة لعصرية ، بيروت ، ٢٠٠٧ م .

٥١- المشترك اللغوي نظرية وتطبيق ، للدكتور توفيق محمد شاهين ، مطبعة الدعوة الاسلامية ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٨٠ م .
٥٢- المصباح ، لابراهيم بن علي الكفعمي ، مؤسسة التاريخ العربي ، ط ١ ، ٢٠٠٤ م .
٥٣- مصباح المتهجد ، لمحمد ابن الحسن الطوسي ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٧ م .
٥٤- معاني القرآن واعرابه ، لابي اسحاق الزجاج ، تح عبد الجليل عبده شلبي ، دار الحديث ، القاهرة ، ٢٠٠٤ م .
٥٥- مفاتيح الجنان ، لعباس القمي ، تعريب محمد رضا النوري ، انتشارات انوار الهدى ، قم ، ط١ ، ٢٠٠٥ م .
٥٦- مفاتيح الغيب ، لصدر الدين الشيرازي ، تعليق علي النوري ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٨ م .
٥٧- المفاهيم المثلى في ظلال شرح اسماء الله تعالى الحسنى ، لابي لؤي وليد محمود بدون معلومات .
٥٨- مفردات الفاظ القرآن للراغب الاصفهاني ، تح صفوان عدنان ، دار القلم ، دمشق ، ط ٣ ، ١٤٢٤ هـ .
٥٩- المقتضب ، لابي العباس المبرد ، تح محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، د. ت.
٦٠- المقصد الاسنى في شرح اسماء الله الحسنى ، لابي حامد الغزالي ، خرج احاديثه وعلق عليه محمود بيجو ، مطبعة الصباح ، ط ١ ، ١٩٩٩ م .
٦١- المنهاج الاسنى في بيان مقام الاسماء الحسنى لابي القاسم شمس الدين الموسوي ، دار الغدير ، ط ١ ، ٢٠٠٨ م .
٦٢- المنهج الجديد في تعليم الفلسفة ، محمد تقي مصباح ، ترجمة محمد عبد المنعم الخاقاني ، دار الكتب اللبنانية ، بيروت ، د. ت.
٦٣- الميزان في تفسير القرآن ، محمد حسين الطباطبائي ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٧ م.
٦٤- النور الاسنى في شرح اسماء الله الحسنى ، سليمان سامي محمود ، دار الخلود للتراث ، ط ١ ، ٢٠٠٦ م .
٦٥- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، للسيوطي ، تح د. عبد الحميد هنداوي ، المكتبة التوفيقية ، د. ت .